

تفسير القرآن بالقرآن بين المأثور والمعقول

د/وجيه محمود أحمد

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة أسيوط

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد

فقد اصطلح العلماء على تقسيم التفسير إلى قسمين رئيسين:

الأول: التفسير بالمأثور، ويعتمد في تفسير الآيات على ما ورد في القرآن نفسه ، وما جاء في سنة النبي ﷺ، وما نقل عن الصحابة رضي الله عنهم ، وكذلك ما أثر عن التابعين رحمهم الله تعالى على الراجح من أقوال العلماء .

الثاني: التفسير بالرأي ، ويعتمد على اجتهاد المفسر في بيان معاني القرآن الكريم، بعد وقوفه على شتى العلوم المعينة على تفسير القرآن ، والتي اشترطها العلماء فيمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم .

ويندرج تحت هذا القسم أنواع التفسير الأخرى ، والتي يكون للعقل فيها دور كبير في استنباط المعاني واستخراج الدلالات كالتفسير اللغوي ، والتفسير الفقهي ، والتفسير الإشاري وغيرها .

وقد اتفقت كلمة العلماء والمفسرين على أن أصح طرق التفسير بوجه عام أن يفسر القرآن بالقرآن، لأنه توضيح لكلام الله بكلام الله، كيف لا إذا كان كل متكلم هو الأعلم والأعرف بكلامه ومقصوده ومراميه، فإِنَّه تعالى أعلم بمراد نفسه ومقصود كلامه من غيره، وكتاب الله أَصْدَقُ الْحَدِيثِ وَأَصْحَهُ (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا) { (النساء ٨٧)

والمتدبر في آيات القرآن الكريم يلحظ ما فيها من إيجاز وإطناب، وإجمال وتفصيل وإشكال وتوضيح، وإطلاق وتقييد، وعموم وتخصيص .

- فما أوجز في مكان فقد يبسط في موضع آخر .
- وما أجمل في مكان فقد يفصل في مكان آخر .
- وما أشكل في آية فقد توضحه آية أخرى .
- وما ورد مطلقاً فقد يلحقه التقييد .
- وما جاء عاماً فقد يدخله التخصيص .

إلا إن التفسير القرآني للقرآن ليس بالأمر السهل أو الواضح حتى يظهر لك من النظرة الأولى، إنما هو أمر صعب وطريق شاق، فهو يحتاج إلى اجتهاد من المفسر يمكنه من الوصول إلى معنى الآية من خلال الآيات الأخرى، ولذلك فليس غريباً أن نجد التفسير القرآني عزيزاً في كتب التفسير، فغالب المفسرين يعتمدون في تفسير الآيات القرآنية على ما أثر في تفسيرها من أقوال المفسرين، وعلى رأسهم سيد المرسلين محمد ﷺ. وإن كان تفسيره للقرآن قليلاً، أما التفسير القرآني للقرآن فقد يكون أمراً نادراً، اللهم إلا إشارات من بعض المفسرين إلى تأكيد معنى الآية بما يناسبها من آيات القرآن الكريم .

ومن ثم فإن إضافة التفسير القرآني للقرآن إلى التفسير بالمأثور أمر يحتاج إلى وقفة متأنية مع هذا المصدر التفسيري الأول، خاصة أنني وجدت بعض

المعاصرين يشيرون في كلمات أوسطور، في أثناء دراساتهم التفسيرية إلى أن نسبة التفسير القرآني إلى التفسير بالمأثور أمر فيه نظر^(١) مما دفعني إلى دراسة هذه الظاهرة التفسيرية لتكون محاولة للتوصل إلى تحديد العلاقة بين التفسير القرآني للقرآن وبين كل من التفسير بالمأثور والتفسير بالمعقول ولتحقيق مقصود الدراسة رأيت أن تكون في قسمين:

الأول: نظري ، ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول: تمهيد ويتحدث عن:

١- قيمة التفسير القرآني للقرآن

٢- صور التفسير القرآني

المبحث الثاني: المفسرون وقوله تعالى (ثم إن علينا بيانه)

المبحث الثالث: ظنية التفسير القرآني

المبحث الرابع: نسبة التفسير القرآني

المبحث الخامس: التفسير القرآني بين النقل والعقل

الثاني: تطبيقي، ويتناول سورة البقرة، مبينا الآيات التي ذكر المفسرون أنها

مفسرة بالقرآن كاشفا عن مدى علاقة هذه الآيات المفسرة بقسمي التفسير الرئيسين

وإن الله سبحانه الموفق

(١) انظر:مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه د/عدنان زرزور ص ٢١٦ دار القلم دمشق، وفصول في أصول التفسير د/مسعود الطيارص٥٣، دار النشر الدولي، وقواعد الترجيح عند المفسرين د/حسين الحريي ١/٣٢٠، دار القاسم

المبحث الأول :

تمهيد

أ- قيمة التفسير القرآني للقرآن

ب- صور التفسير القرآني للقرآن

أولاً: قيمة التفسير القرآني للقرآن :

أطبق المفسرون على اختلاف مناهجهم وتتنوع مشاربهم على أن أصح طرق التفسير وأقواها وأعلاها هو تفسير القرآن بما ورد في القرآن نفسه، وليس للمفسر أن يتجاوز التفسير القرآني إلى غيره من طرق التفسير الأخرى إلا إذا تعسر عليه تفسير الآية من خلال آيات القرآن الكريم .

ولا غرابة في ذلك فأيات القرآن الكريم _عبارة وإشارة_ توضح أن القرآن كتاب مبين ومفصل من عند الله تعالى " يقول الله تعالى "لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ {القيامة ١٦-١٩} ، ويقول سبحانه {كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ} فصلت ٣، ويقول جل وعلا {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} {الأعراف ٥٢} ، ويقول عز وجل {كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} {هود ١}

وإذا كانت هذه الآيات تدل بعبارتها على تفسير القرآن بالقرآن ، فهناك من الآيات ما يدل عليه بإشارته كقوله تعالى (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ {النحل ٨٩} ، وكقوله تعالى مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

أيوسف ١١١

* فإذا كان القرآن فيه بيان وتفصيل كل شيء فمن الأولى أن يكون مبيناً ومفصلاً في نفسه * (١)

وقد فهم النبي ﷺ ذلك عندما فسر بعض آيات القرآن وبين معناها من خلال آيات أخرى، ومن أشهر ما ورد عنه ﷺ تفسيره الظلم في قوله تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} {الأنعام ٨٢} (٢)

إذن فتفسير القرآن بالقرآن طريقة نبوية (٣) سلكها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وتبعه فيها صحابته الكرام رضي الله عنهم ومن بعدهم التابعون رحمهم الله تعالى (٤) ومن ثم فإن هذه الطريقة هي أصح الطرق وأصوبها في تفسير القرآن ، يقول ابن رحمه الله تعالى: أصح الطرق في ذلك أن تفسير القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد قسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر (٥)

ولذلك فإن كل من يتصدى لتفسير القرآن سواء كان منهجه نقلياً أو عقلياً ، لا بد وأن يوجه اهتمامه الأول لتفسير القرآن الكريم بما ورد في القرآن نفسه اقتداء بالمفسر الأول للقرآن الكريم - بعد الله تعالى - وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتأسياً بالسلف الصالح رضي الله عنهم ، فتفسير القرآن بالقرآن مرحلة أساسية لا يمكن تخطيها .

(١) منهج ابن كثير في التفسير - د/ سليمان اللاحم ص ١٨١، دار المسلم

(٢) سيأتي تخريج هذا الحديث

(٣) سنتاتي نماذج من أقوال النبي ﷺ والصحابة والتابعين في تفسير القرآن بالقرآن .

(٤) مناهج المفسرين د/ مصطفى مسلم ص ٩٧، دار المسلم ، الرياض

(٥) مقدمة في أصول التفسير ص ٩٣ دار القرآن الكريم، الكويت

ثانياً: صور التفسير القرآني للقرآن

ذكر العلماء والمفسرون في تفسير القرآن بالقرآن صوراً يمكن إجمالها فيما يلي

(١) بسط الموجز

وذلك في مثل قوله تعالى {وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} {البقرة ٦٦}

فقد أوجزت هذه الآية قصة أهل * إيلة * ومصيرهم ، وقد جاءت هذه القصة مبسطة في سورة الأعراف ، وسيرد ذكرها في القسم التطبيقي .
ويدخل ضمن هذه الصورة كل القصص القرآني الذي جاء موجزاً في موضع ومبسوطاً في موضع آخر ، ولعل قصتي آدم وموسى من أوضح الشواهد على ذلك .

(٢) بيان المجمل

ومن الأمثلة عليه :

قوله تعالى {فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} {البقرة ٣٧} فقد فسرت الكلمات في الآية بقوله تعالى {قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} {الأعراف ٢٣} وكذلك قوله تعالى {أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهَيْمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ} {المائدة ١}، فقد فسر الاستثناء في هذه الآية بقوله تعالى {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ... الآية} {المائدة ٣}

٣) توضيح المشكل

فقد يعتبر معنى الآية شيء من اللبس أو الغموض فتأتي الآية الأخرى لتزليل إشكالها

كما في قوله تعالى {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} البقرة ٧

فإن الواو في قوله تعالى " وعلى سمعهم" وقوله * وعلى أبصارهم " تحتمل العطف على ما قبلها ،وتحتمل الاستئناف ، لكن آية الجاثية بينت أن الواو الأولى للعطف والثانية للاستئناف ، يقول سبحانه {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} الجاثية ٢٣، فظهر أن الختم يكون على السمع والقلب والغشاوة تكون على البصر (١)

وفي قوله تعالى {وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ} العاديات ٧

فالضمير في "إنه" قد يكون راجعا إلى الإنسان ،وقد يكون راجعا إلى الله ، فالآية التي تسبقها {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} العاديات ٦ ، إلا أن قوله تعالى - بعدها - {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} العاديات ٨ بين أن الصبر راجع إلى الإنسان (٢) ٤- حمل بعض القراءات على بعض ذكر الدكتور محمد حسين الذهبي أن من الشواهد على هذه الصورة تفسير الزخرف في قوله تعالى {أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/٧٠، مكتبة الهلال وأضواء البيان للشنقيطي ١/٥٢، دار إحياء

التراث العربي

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي، ٣٧٧، دار عالم الفوائد.

مَنْ زُخْرُفٍ {الإسراء ٩٣} بالذهب لقراءة ابن مسعود ((أو يكون لك بيت من ذهب)) (١)

وكذلك في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ {الجمعة ٩}

فقد فسر قوله تعالى " فاسعوا " بالقراءة المرورية عن ابن عباس وغيره "فامضوا إلى ذكر الله " (٢) .

والحق أن مثل هذه الشواهد لا يدخل في تفسير القرآن بالقرآن لأن قراءة ابن مسعود وقراءة ابن عباس ليستا من القراءات في شيء وإنما هي أقوال للصحابة في تفسير القرآن رويت على أنها قراءات ،وعلى فرض أنها قراءات ،فهي قراءات شاذة، والقراءة الشاذة ليست قرآنا (٣)، فلا تعد من تفسير القرآن بالقرآن ، وإن استعين به في بيان معاني الآيات ، كما قال مجاهد : كنا لا ندري ما الزخرف حتى سمعنا في قراءة عبد الله * أو يكون لك بيت من ذهب * (٤)

أما ما يورد في تفسير القرآن بالقرآن فهي القراءات المتواترة الصحيحة التي يفسر بعضها بعض أو يؤكد بعضها على معنى البعض الآخر .

(١) تفسير الطبري ١٥/١٦٣، دار المعرفة بيروت، والبحر المحيط لأبي حيان ٦/٧٨، دار الكتب العلمية، وتفسير القرطبي ٥/٣٣١، دار الكتب العلمية ومعجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب ٩/٧٩ دار سعد الدين للطباعة.

(٢) المحتسب لابن جني ٢/٤١١، دار سزسكين للطباعة والنشر ، ومعجم القراءات ٩/٤٦١ .

(٣) يقول النووي: القراءة الشاذة لا يحتج بها ولا يكون لها حكم الخبر عن رسول الله ﷺ لأننا نقلها لم ينقلها إلا على أنها قرآن ،والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر بالإجماع وإذا لم يثبت قرآنا لم يثبت خبرا ، شرح صحيح مسلم ٥/١٣١ دار إحياء التراث العربي .

(٤) تفسير الطبري ١٥/١٦٣، وتفسير القرطبي ٥/٣٣١ .

ففي قوله تعالى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ} البقرة ٢٢٢

فقوله تعالى " يطهرن " قرئ بالتشديد "يَطْهَرْنَ" ^(١)، فبينت قراءة التشديد أن المقصود بالطهارة الغسل بالماء وليس مجرد انقطاع الدم ، فأفادت رفع توهم جواز إتيان الحائض إذا ارتفع عنها الدم وإن لم تطهر ^(٢) وكذلك في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا} الحجرات ٦

فقوله تعالى " فتبينوا " قرئ " فتثبتوا " ^(٣) فجاءت هذه القراءة الأخيرة تفسيراً وتأكيذاً على ضرورة التأنى والتثبت للوصول إلى الحقيقة ، وإن كان التبين أعم من التثبت ^(٤)

٥- تخصيص العام : ومن الأمثلة عليه :

قوله تعالى (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ } النساء ٣
فكلمة النساء عامة خصصت بقوله تعالى {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٢٧٧، دار الكتب العلمية ،وحجة القراءات لأبي زرعة ص ١٣٤ مؤسسة الرسالة .

(٢) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام محمد بن عمر بازمول ٢/٤٨٢ دار الهجرة .

(٣) إتحاف فضلاء البشر للبناء ٥١٢، دار الكتب العلمية ،والكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب ١/٣٩٤، مؤسسة الرسالة ،ومعجم القراءات ٩/٧٩.

(٤) يقول مكي:التبين يعم التثبت ،لأن كل من يتبين أمراً فليس يتبينه إلا بعد التثبت ظهر له ذلك الأمر أو لم يظهر .وليس كل من تثبت في أمر تبينه ،وقد يتثبت ولا يتبين له الأمر ،فالتبين أعم من التثبت لاشتماله عليه،الكشف ٢٩٤.

وَأَخَوَاتِكُمْ وَعَمَّاتِكُمْ وَخَالَاتِكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ...الآية {النساء ٢٣} (١)
 وقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا
 يَنفَعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} البقرة ٢٥٤، حيث نفيت الخلة
 والشفاعة على جهة العموم، وقد استثنى الله تعالى من الخلة خلة المتقين في
 قوله تعالى {الْأَخْيَارُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} الزخرف ٦٧، واستثنى
 من الشفاعة ما أذن به منها بقوله {وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً
 إِلَّا مَن بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى} النجم ٢٦ (٢)

٦- تقييد المطلق. ومن الأمثلة عليه:

قوله تعالى وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِّن
 الْخَاسِرِينَ {المائدة ٥}

فحبوط العمل في هذه الآية مطلق، وقيد بالموت على الكفر في قوله تعالى
 وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُم مِّنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {البقرة ٢١٧} (٣)

وفي قوله تعالى {مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ
 يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ} الشورى ٢٠،

قيد الإطلاق في قوله تعالى (ومن كان يريد حراث الدنيا نؤته منها) بمراد الله
 تعالى ومشيتته في قوله تعالى {مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن

(١) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت ١١١/١ دار ابن عفان .

(٢) انظر التفسير والمفسرون للذهبي ٤٢/١، دار القلم، و بحوث في أصول التفسير ومناهجه
 د/فهد الرومي ٧٤ مكتبة التوبة الرياض .

(٣) قواعد التفسير لخالد السبت ١١١/١ .

نريدُ فليس كل من سعى في الدنيا يعطى مراده، بل يعطى بمراد الله ومشيتته ، يقول ابن كثير في تفسير الآية : أي :ومن كان سعيه ليحصل له شيء من الدنيا وليس له إلى الآخرة هم البتة بالكلية حرمة الله الآخرة، والدنيا إن شاء أعطاه منها وإن لم يشأ لم يحصل له هذه ولا هذه ، وفاز الساعي بهذه النية بالصفة الخاسرة في الدنيا والآخرة ، والدليل على هذا أن هذه الآية مقيدة بالآية التي في * سبحان * وهي قوله تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا} {الإسراء ١٨} (١)

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/١١٢.

المبحث الثاني:

المفسرون وقوله تعالى ((ثم إن علينا بيانه))

*** القرآن يفسر بعضه بعضا ***

تتردد هذه العبارة كثيرا في كتب علوم القرآن ومناهج المفسرين ،وهي تنطلق من قوله تعالى {لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} (القيامة ١٦-١٩) فكما أن الله تعالى تعهد بحفظ القرآن الكريم^(١) كذلك تعهد سبحانه ببيان معانيه وأحكامه.

ونحن إذ نسلم بصحة هذه العبارة ،فإننا نرى أنها تحتاج إلى مناقشة للوصول إلى المعنى الدقيق لها ،لأننا لو أخذنا هذه العبارة على ظاهرها لما اقترب أحد من تفسير القرآن ولا بذل الجهد في استخراج معانيه ، فلا بيان للقرآن بعد بيان الله تعالى ولا تفسير له بعد تفسيره.

وعندما نناقش هذه العبارة فإننا نناقش الأساس الذي انطلقت منه ، - أو قل من أهم الأسس التي انطلقت منها- وهو قوله تعالى: "ثم إن علينا بيانه" فهل المراد بالبيان هذا التفسير والإيضاح؟ أم أنه له معاني آخر وإذا كان له معاني آخر فما الراجح من هذه المعاني؟

نقول : بالنظر في كتب التفسير نجد أن المفسرين اختلفوا في المراد من البيان في هذه الآية على أقوال أهمها ثلاثة :

(١) في قوله تعالى : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} {الحجر ٩}

الأول: أن المراد بالبيان في هذه الآية هو البيان بلسان النبي ﷺ، فكأن الله

تعالى يقول لنبيه: ثم إن علينا أن نبينه بلسانك

وهذا الوجه يتقوى بسياق الآيات، فالآيات توضح حرص النبي ﷺ على تبليغ

القرآن كما أنزل بلا زيادة أو نقصان، فكان يخشى ﷺ أن ينسى أو يضيع شيئاً من

القرآن مما جعله يحرك لسانه بالقرآن عند إلقاء الوحي مخافة أن يتقلت منه، فطمأنه

الله سبحانه بقوله (إن علينا جمعه) أي في صدرك، (وقرآنه) أي وتلاوته وتيسير

أدائه، (فإذا قرأناه) عليك بلسان جبريل (فاتبع قرآنه) كما أقرأك، (ثم إن علينا

بيانه) أي تبينه للناس بلسانك

وهذا التفسير للبيان هو ما ورد في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله

عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يحرك شفثيه إذا أنزل عليه فقيل له (لا تحرك به

لسانك) يخشى أن يتقلت منه (إن علينا جمعه وقرآنه) أي نجمعه في صدرك

(وقرآنه) يقول أنزل عليه (فاتبع قرآنه) ثم إن علينا بيانه (أي نبينه على لسانك

فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل استمع فانطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه^(١)

قال ابن زيد: أي لا تكلم بالذي أوحينا إليك حتى يقضي إليك وحيه فإذا

قضينا إليك وحيه فتكلم به، يعني أن هذا نظير قوله تعالى (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ

قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) طه ١١٤^(٢)

الثاني: أن المراد بالبيان في الآية بيان ما فيه من الأحكام والحلال والحرام

، وهو المعنى المتبادر من الآية، والذي اعتمده كثير من الباحثين على أنه السدليل

(١) البخاري كتاب بدء الوحي رقم ١، ٦/٥، ومسلم كتاب الصلاة رقم ١، ٤٤٨، ٣٣٠/١، دار ابن كثير.

(٢) تفسير الطبري ١٨٨/٢٩، ومحاسن التأويل للقاسمي ٣٥٢/١٦، دار الفكر بيروت.

الأول لظاهرة التفسير القرآني للقرآن، نظرا لتقديم عدد من المفسرين لهذا الوجه، وابتدائهم تفسير الآية به، وإن ذكروا الوجوه الأخرى في تفسير الآية (١)

الثالث: نقل الرازي عن القفال أن قوله تعالى (لا تحرك به لسانك) ليس خطابا مع الرسول ﷺ بل هو خطاب مع الإنسان المذكور في قوله (ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) (القيامة ١٣) فكان ذلك للإنسان حال ما ينبأ بقبائح أفعاله، وذلك بان يعرض عليه كتابه فيقال له (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) الإسراء ١٤

فإذا أخذ في القراءة تلجلج لسانه من شدة الخوف وسرعة القراءة، فيقال له (لا تحرك به لسانك لتعجل به) فإنه يجب علينا بحكم الوعد أو بحكم الحكمة أن نجمع أعمالك عليك، وأن نقرأها عليك، فإذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه بالإقرار بأنك فعلت تلك الأفعال، ثم إن علينا بيان أمره وشرح مراتب عقوبته.

وحاصل الأمر من تفسير هذه الآية أن المراد منها أن الله تعالى يقرأ على الكافر جميع أعماله على سبيل التفصيل، وفيه أشد الوعيد في الدنيا وأشد التهويل في الآخرة.

ثم قال القفال: فهذا وجه حسن، ليس في العقل ما يدفعه وإن كانت الآثار غير واردة به (٢)

وهذا الوجه لم يعجب ابن حجر، وجعل الحاصل عليه هو عسر بيان

(١) انظر تفسير الطبري ١٩٠/٣، وتفسير ابن كثير ١٩٦/٤، وتفسير القرطبي ١٠٦/١٠، وفتح البيان في مقاصد القرآن ٤٤١/١٤، دار إحياء التراث قطر، وفتح القدير ٤٧٥/٥، دار الكلم الطيب، وتفسير النسفي ٥٧٢/٣ دار إحياء الكتب العلمية

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٦٨/٨ دار الفكر

المناسبة بين هذه الآية وما قبلها من أحوال القيامة (١)

إلا أن القاسمي يدافع عن هذا الوجه ويقدمه على غيره من الوجوه فيقول:

هذا الوجه -فيما يظهر- فيه غاية القوة والارتباط بما قبله وما بعده مما يؤثره على المأثور الذي قد يكون مدركه الاجتهاد، والوقوف مع ظاهر ألفاظ الآية، ومما يؤيده ما أورد عليه أن ابن عباس لم ير النبي ﷺ في تلك الحال، لأن الظاهر أن ذلك كان في مبدأ البعث النبوي ولم يكن ابن عباس ولد حينئذ، ولا مانع -كما قال ابن حجر- أن يخبر النبي ﷺ بذلك بعد فيراه ابن عباس أو يخبر به، فيكون من مراسيل الصحابة والله أعلم (٢)

(١) فتح الباري ٦٨٠/٨، دار المعرفة، وقد ذكر ابن حجر في مناسبة وقوع آيات الحفظ والبيان في سورة القيامة معترضة في أحوال القيامة وجوها منها:

-انه سبحانه لما ذكر القيامة وكان من شأن من يقصر عن العمل لها حب العاجلة، وكان مين أصل الدين أن المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة، فنبه على أنه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجل منه وهو الإصغاء إلى الوحي وتفهم ما يرد منه، والتشاغل بالحفظ قد يصد عن ذلك، فأمر ألا يبادر إلى التحفظ، لأن تحفيظه مضمون على ربه، وليصغى إلى ما يرد عليه إلى أن ينقضي فيتبع ما اشتمل عليه.

-ومنها أن عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد حيث يعرض يوم القيامة أوردته بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية في الدنيا التي تنشأ عنها المحاسبة عملاً وتركاً كما قال في الكهف (وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ.... إلى أن قال (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) الآيات ٤٩: ٥٤ ومنها أن النفس لما تقدم ذكرها في أول السورة عدل إلى ذكر نفس المصطفى كأنه قيل: هذا شان النفوس، وأنت يا محمد نفسك أشرف النفوس، فلتأخذ بأكمل الأحوال الفتح ٦٨٠، ٦٨١/٨

(٢) محاسن التأويل ٢٥٥/١٦

والناظر في هذه الأقوال في تفسير الآية ليستريح إلى ترجيح القول الأول فيها لأنه يتأيد بالمنقول والمعقول.

أما المنقول فقد سبق ذكره في حديث البخاري عن ابن عباس.

وأما المعقول فإن الله تعالى لما نهى النبي ﷺ عن تحريك لسانه بالقرآن تعجلاً خشية نسيانه أو ضياعه، طمأنه بأنه سبحانه سيحفظه عليه في صدره ويبينه للناس بلسانه أي بتلاوته إياه وقراءته عليهم، وكان ذكر اللسان في أول الآيات أغنى عن إعادته في آخرها فاللسان الذي نهى عن تحريكه سيكون هو أداة بيان القرآن وإيصاله إلى الناس والله أعلم .

وعلى أية حال فإن الآية إذا كانت تحتل وجوها في التفسير فإن من المبالغة أن نقول : إن القرآن يفسر بعضه بعضاً، لأن هذا القول يحمل القرآن فوق طاقته، وقد يؤدي على التعسف في تفسير القرآن بالقرآن، وحتى تكون عبارتنا أكثر دقة فإنه ينبغي أن نقول : إن القرآن يعين بعضه على بيان بعض، خاصة وأن المقصود العام للقرآن هداية الناس، وكل آيات القرآن تدور حول هذا المقصود وتجتمع على بيانه على وجه مترابط متكامل متجانس فينبغي * للناظر في القرآن أن يجتهد في التعرف على ألوان مخاطباته كي يصل إلى المعاني الماثورة فيه على الوجه الصحيح... فإن هذا القرآن ذو معان مترابطة بعضها آخذ بحجز بعض، فلا بد من استقراء معانيه وربط بعضها ببعض * (١)

(١) قواعد التفسير خالد السبت ٢٩٥/١

المبحث الثالث :

ظنية التفسير القرآني للقرآن

عندما يستعين المفسر بآيات القرآن لبيان المعاني القرآنية فإنه يسلك بذلك أقوى الطرق وأصحها في تفسير القرآن إلا أنه لا يمكن القطع بصحة هذا التفسير لأنه - في غالب الأحيان - اجتهاد من صاحبه قد يخطئ فيه وقد يصيب، وإن كان مسلكه من حيث المبدأ صحيحاً .

فعندما فسر مجاهد رحمه الله قوله تعالى {ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ} عبس ٢٠ بقوله تعالى {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} الإنسان ٣ نجد الطبري يعدل عن هذا التفسير، ويرجح القول الآخر بأن المقصود من السبيل: خروجه من بطن أمه. يقول:

وأولى التأويلين ذلك عندي بالصواب قول من قال: ثم الطريق: أي هو الخروج من بطن أمه، وذلك أن الخبر من الله قبلها وبعدها عن صفة خلقه وتدبيره جسمه وتصريفه إياه في الأحوال، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وما بعده (١)

وكذلك عندما فسر قتادة قوله تعالى {وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ} عبس ٣٧ بقوله تعالى {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} فاطر ١٣ نجد الطبري يضعف قول قتادة فيقول: وهذا الذي قاله قتادة بعيد، وذلك أن إيلاج الليل في النهار إنما هو زيادة ما نقص من ساعات هذا في ساعات الآخر، وليس السلخ من ذلك في شيء لأن النهار يسلخ من الليل كله

(١) جامع البيان ٣٠ / ٥٥

، وكذلك الليل من النهار كله، وليس يولج كل الليل في كل النهار ، ولا كل النهار في كل الليل. (١)

وعلق ابن كثير على كلام الطبري بقوله * وهذا الذي قاله ابن جرير حق (٢) ويظهر من ذلك أنه * لا يلزم أن كل من فسر آية بآية أن تفسيره هذا يقبل ، بل قد يكون مرجوحا، فحكمه حكم تفسير الصحابي والتابعي، ولو كان يلزم قبول قول كل من فسر آية بآية لما ورد شيء من هذه الأقوال. (٣)

وحتى يتبين لنا أن التفسير القرآني للقرآن لا يمكن القطع به فإننا نتناول طائفة من الآيات التي اشتهرت في كتب التفسير وعلوم القرآن أنها مفسرة بآيات أخرى ، ثم نبين أقوال المفسرين فيها ومدى التزامهم بالتفسير القرآني للقرآن الآية الأولى : قوله تعالى {إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} الفاتحة ٦، ٧

فقوله تعالى * الذين أنعمت عليهم * مفسر عند أكثر المفسرين بقوله تعالى {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} النساء ٦٩ ، وهذا التفسير مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما .

غير أن جل المفسرين لم يكتفوا بهذا القول ، وإنما ذكروا في الآية وجوها أخرى نجلها فيما يلي :

قيل : إن المقصود ب * الذين أنعمت عليهم * النبيون .

(١) نفسه ٤٣٤٥٥/١٩

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥٧٦/٦

(٣) فصول في أصول التفسير د/ مساعد الطيار ص ٥٤

وقيل: المسلمون .

وقيل: النبي (ﷺ) ومن معه .

وقيل: مؤمنو بني إسرائيل بدليل قوله تعالى يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ {البقرة ٤٠}

وقيل: أصحاب موسى وعيسى الذين لم يغيروا (١)

وقد لاحظت أن مواقف المفسرين تتمثل فيما يلي:

أولاً: قليل منهم يرجح، وهو في ترجيحه لا يرد الأقوال الأخرى، يقول ابن كثير: والتفسير المتقدم عن ابن عباس أعم وأشمل (٢) ويقول أبو السعود: ولعل الأظهر: إنهم المذكورون في قوله تعالى {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ... الآية (٣)}

ثانياً: الكثير منهم لا يرجح قولاً على آخر (٤)

ثالثاً: كان بعضهم لا يبدأ تفسير الآية بهذا الوجه المذكور (٥)

(١) انظر: تفسير الطبري ١٧٧/١، وتفسير ابن كثير ٤٦/١، والدر المنثور للسيوطي ٨٣/١، مركز هجر، والمحرر الوجيز لابن عطية ٨٠/١، وزارة الشؤون الإسلامية بقطر وزاد المسير لابن الجوزي ١٥/١ المكتب الإسلامي والكشاف للزمخشري ٢٥/١، دار المعرفة، والبحر المحيط لأبي حيان ١٤٧/١، والنكت والعيون للماوردي ٥٩/١، دار الكتب العلمية وتفسير القاسمي ٢٢/٢، وتفسير أبي السعود ١٨٣/١ دار إحياء التراث العربي

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٦/١

(٣) تفسير أبي السعود ١٨/١

(٤) كالطبري، وابن عطية، والسيوطي والزمخشري، وأبي حيان

(٥) كالزمخشري وأبي السعود

رابعاً: كما وجدنا أن بعض المفسرين لا يذكر هذا الوجه أصلاً (١)

خامساً: ذكر الفخر الرازي أن قوله تعالى * أنعمت عليهم * يتناول كل من كان لله عليه نعمة ، وهذه النعمة إما أن يكون المراد منها نعمة الدنيا أو نعمة الدين، ولما بطل الأول ثبت أن المراد منه نعمة الدين.

فنقول -أي الرازي-: كل نعمة سوى نعمة الإيمان مشروطة بحصول الإيمان وأما النعمة التي هي الإيمان فيمكن حصولها خالية عن سائر النعم ، وهذا يدل على أن المراد من قوله * أنعمت عليهم * نعمة الإيمان (٢)

الآية الثانية : قوله تعالى {فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} البقرة ٣٧

يجمع الباحثون -أو يكادون- في علوم القرآن ومناهج المفسرين على أن الكلمات المذكورة في الآية مفسرة بقوله تعالى في سورة الأعراف : " {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} الأعراف (٢٣) ، وهذا التفسير مروى عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبیر وعطاء وأبي بن كعب وغيرهم (٣) .

غير أن الناظر في كتب التفسير يجد في تفسير الكلمات أقوالاً كثيرة مروية عن الصحابة والتابعين ، لعل أشهرها ما روي عن ابن عباس أن الكلمات هي قول

(١) كالما وردى.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٦٣/١

(٣) انظر تفسير الطبري ٧٧/١ ، و تفسير ابن كثير ٩٧/١ والمحرم الوجيز ٨٠/١ ، والدر

المنشور ٣١٣/١ ، وزاد المسير ٢٦٩/١ ، وفتح البيان ١٣٨/١

آدم : أي ربي ألم تخلقتني بيدك ؟ قال: بلى . قال: ألم تتفخ في من روحك ؟ قال: بلى قال ألم تسبق رحمتك إلي قبل غضبك ؟ قال: بلى . قال: ألم تسجد لي ملائكتك وتسكني جنتك ؟ قال: بلى . قال أي ربي أرايت إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة . قال: نعم .^(١)

وكذلك ما روى عن مجاهد أن الكلمات هي قول آدم :

اللهم لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين .. اللهم لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إنني ظلمت نفسي فارحمني فأنت خير الراحمين .. اللهم لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إنني ظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم^(٢)

إلى غير ذلك من أقوال الاعتذار التي تقارب هذا المعنى^(٤)

والملاحظ على أغلب المفسرين أنهم يذكرون هذه الأقوال دون ترجيح

فيما بينها .

وإن كان هناك ترجيح من بعض المفسرين فإنه كذلك لا يدفع الأقوال

الأخرى .

يقول الطبري :

والذي يدل عليه كتاب الله جل ثناؤه أن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه هي الكلمات التي أخبر جل ذكره عنه أنه قالها متصلا بقلها إلى ربه معترفا بذنبه وهو قوله تعالى : { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } .

(١) (٢،٣، ٢٠) انظر المراجع السابقة والصفحات نفسها .

ثم يقول :

وليس ما قاله من خالف قولنا هذا - من الأقوال التي حكيناها - بمدفوع قوله :
ولكنه قول لا شاهد عليه أو حجة يجب التسليم لها ، فيجوز لنا إضافته إلى
آدم وأنه مما تلقاه من ربه عند إنابته إليه من ذنبه (١)

ومما يؤكد عدم قطيعة التفسير القرآني هنا أن الآية المفسرة هي من سورة
البقرة وسورة البقرة سورة مدنية ، والآية المفسرة في سورة الأعراف وهي سورة
مكية ، فهي سابقة عليها في النزول ويستبعد أن تكون تفسيراً لها .
ومن ناحية أخرى فإن تكرير لفظة "كلمات" يوسع دائرة تفسيرها ويجعلها
تتحمل كل أقوال العلماء فيها .

الآية الثالثة : قوله تعالى : {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ

الآية {الأنعام ٥٩}

يرى كثير من المفسرين أن مفاتيح الغيب " المذكورة في الآية مفسرة بقوله
تعالى في آخر سورة لقمان : {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ} لقمان ٣٤، وأكدوا على ذلك بما رواه ابن عمر عن النبي (ص) أنه قال:
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله : " لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله ،
ولا يعلم متى تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا تعلم نفس
بأي أرض تموت إلا الله ، ولا يعلم الغيب إلا الله " (٢)

(١) تفسير الطبري ١/٧٧

(٢) صحيح البخاري كتاب التفسير رقم ٤٤٢٠، ١٧٣٣/٤٤٢٠، وصحيح ابن حبان ١ كتاب العلم رقم

٧٠ ، مؤسسة الرسالة ١/٧٢٢ ، ومسند أحمد رقم ٥١٣٣ ، ٧/٥٢٧/٢ ، مؤسسة قرطبة مصر .

غير أن الناظر في كتب التفسير يجد أنهم يذكرون إلى جانب الوجه السابق وجوها أخرى قد تصل أحياناً إلى ستة وجوه. فقد تكون مفاتيح الغيب خزائن غيب السموات من الأقدار والأرزاق. قاله ابن عباس وقد تكون ما غاب عن الخلق من الثواب والعقاب وما تصير إليه الأمور. قاله عطاء :

وقد تكون خزائن غيب العذاب متى ينزل . قاله مقاتل

وقد تكون الوصلة إلى علم الغيب إذا استعلم . قاله الزجاج

وقد تكون عواقب الأعمار وخواتيم الأعمال.

وقد تكون علم ما لم يكن، هل يكون أم لا يكون ، وما يكون كيف يكون

وما لا يكون إن كان كيف يكون (١)

والناظر فيما كتبه المفسرون يجدهم لا يرجحون قولاً على آخر مما يدل

على ارتضائهم لجميع ما يذكرونه

وما ذكرنا في هذه الآيات ينطبق على غيرها مما ذكر في باب تفسير

القرآن بالقرآن ، مما يدل على أن تفسير القرآن بآيات القرآن لا يمكن القطع

بصحته ولا يلزم قبوله لأنه اجتهاد من صاحبه عرضة للصواب والخطأ

(١) انظر تفسير الطبري ٩/٩٢٨، وتفسير ابن كثير ٢/١٤١، والدر المنثور ٦/

والمحرر الوجيز ٦/٢٦٤، والنكت والعيون للماوردي ٢/، ٢٢١ والتفسير الكبير ٤/١٥٥، وزاد

المسير ٣/٥٢ .

المبحث الرابع :

نسبة التفسير القرآني للقرآن

إن الباحث عن شواهد التفسير القرآني للقرآن في كتب التفسير يجد أن المفسرين

إنما ينسبون تفسير القرآن بآيات القرآن لمن قال به .

فإذا كان تفسيراً للنبي ﷺ نسب إليه .

وإذا كان تفسيراً لأحد الصحابة فهو منسوب له .

وإذا المفسر من التابعين أو السلف فهو منسوب لصاحبه .

وقد لاحظنا في النقطة السابقة ذكر الأقوال في تفسير القرآن بالقرآن

منسوبة إلى قائلها من الصحابة والتابعين وغيرهم .

وحتى يزداد الأمر وضوحاً نذكر هنا نماذج من التفسير النبوي والتي

تشتمل على تفسير القرآن بالقرآن ، وقد أدرجها العلماء والباحثون ضمن شواهد

التفسير بالسنة .

ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية : {الَّذِينَ

آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} شق ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله وأينا لا

يظلم نفسه ؟ قال: ليس هو كما تظنون ، إنما هو كما قال لقمان لابنه (لا تشرك

بالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } إنما هو الشرك (1)

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله قال : أخبرتني أم مبشر أنها سمعت

النبي ﷺ يقول عند حفصة : لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد ،

(1) البخاري كتاب الأنبياء، رقم ٣١٨١-٣/١٢٢٦، ومسلم كتاب الإيمان رقم ١٢٤-١/١١٤ دار

الذين بايعوا تحتها، قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها فقالت حفصة: * وَإِنْ مَنَّكُمْ
إِلَّا وَارِدُهَا * مريم ٧١، فقال النبي ﷺ قال الله (ثُمَّ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَنَدَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا
جَنَّتًا) مريم ٧٢ (١)

وأخرج أحمد وأصحاب السنن عن النعمان بن بشير قال: قال رسول
الله ﷺ إن الدعاء هو العبادة، ثم قرأ * اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ * غافر ٦٠ (٢)

فواضح من هذه النماذج أنها تفسير للقرآن بالقرآن لكنها مدرجة في التفسير
النبوي للقرآن الكريم ومعدودة من شواهده، مما يدل على أن تفسير القرآن بالقرآن
ينسب لقائله لا إلى لقرآن.

ولذلك كان طبيعياً ألا يقتصر المفسرون على أقوال الصحابة والتابعين في
تفسير القرآن بالقرآن، ويذكرون معها الأقوال الأخرى في التفسير، وذلك لأن
* تفسير الصحابي أو التابعي هو من التفسير بالرأي، لأن طريق الوصول إلى
تفسير هذه الآية بهذه الآية هو الرأي والاجتهاد * (٣)

(١) مسلم كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٦-٤/١٩٤٢

(٢) مسند أحمد ٤/٢٧٦، وسنن أبي داود كتاب الصلاة رقم ٢، ٧٦/١٤٧٩، دار الفكر، وسنن
الترمذي كتاب تفسير القرآن رقم ٣٧٤/٣٢٤٧، ٥، دار إحياء التراث العربي، وسنن ابن ماجه
كتاب الدعاء رقم ١٢٥٨/٣٨٢٧، ٢، دار الفكر.

(٣) بحوث في أصول التفسير د/مساعد الطيار ص ٥٣.

المبحث الخامس :

تفسير القرآن بالقرآن بين النقل والعقل

بعد معاشيتي لتفسير للقرآن في كتب التفسير وما ذكره الباحثون في علوم القرآن تبين لي أن جل أقوال العلماء والمفسرين في تفسير القرآن بالقرآن إنما هي محاولات عقلية تعتمد على النظر والتدبر والتأمل في آيات القرآن الكريم. وبعد التأمل في المصطلح وشواهد تبين لي أن تفسير القرآن بالقرآن ينقسم إلى قسمين :

الأول: نقلي، وهو قليل ، وقد جاء هذا القسم في صورتين :

الأولى : أن تفسر اللفظة أو الآية القرآنية بالآيات التي لحقتها مباشرة ، وتكون من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى نظر أو تأمل ، ويدركها العامة والخاصة على حد سواء، وهو ما يسمى بالبيان المتصل ^(١)

والأمثلة على هذه الصورة كثيرة ، منها :

قوله تعالى {وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً. فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ . وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ } الواقعة ٧-١٠

فواضح أن قوله تعالى * أزواجا ثلاثة * مفسر بما بعده

وكذلك في قوله تعالى {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا .

وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا } المعارج ١٩-١٢

فغير خاف أن قوله * هلوعا * مفسر بما بعده.

وأیضا في قوله تعالى {وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقِ . النَّجْمِ الثَّاقِبِ } الطارق ٢-٣

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٨٦/٢، المكتبة العصرية بيروت، والإتقان في

علوم القرآن للسيوطي ٦٩٤/٢ ، دار ابن كثير ، وقواعد التفسير لخالد السبت ١١٠/١

فبين أن * النجم الثاقب * تفسير للطارق وأدخل بعض الباحثين في البيان المتصل ما ورد إجابة على الأسئلة التي وجهت إلى النبي ﷺ، واشتملت الآية على السؤال والجواب معا، فعد الجواب تفسيراً للسؤال (١)

كقوله تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ... الآية} البقرة ٢١٧

وكقوله تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمْ مَّا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا... الآية} البقرة ٢١٩

وكقوله تعالى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ... الآية} البقرة ٢٢٢

وواضح أن ذلك بعيد عن تفسير القرآن بالقرآن، لأن الإجابة لا تشتمل على تفسير للمسئول عنه وإنما تشتمل على حكم يتعلق به

الصورة الثانية: أن يرد في الآية ما يدل على أن تفسيرها مرتبط بغيرها من الآيات، وذلك في مثل قوله تعالى *أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ* المائدة ١، فقوله * إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ * دل على أن هناك قرآناً يتلى يبين المستثنى في هذه الآية، وقد ذكر عامة المفسرين أن الاستثناء هنا مفسر بقوله تعالى {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ... الآية} المائدة ٣

وكذلك في قوله تعالى {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ} النحل ١ فقوله تعالى ما *قصصنا* دل على أن هناك من الآيات ما يبين ما

(١) د/ملفي الصاعدي، ما اتصل به بيانه من القرآن الكريم، مجلة الجامعة الإسلامية عدد

حرم في الآية، وذكر المفسرون جميعاً أن هذه الآية مفسرة بقوله تعالى {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} الأنعام ١٤٦

وهاتان الصورتان قد وقع عليهما ما يشبه الإجماع بين العلماء والمفسرين سلفاً وخلفاً.

إلا أنني أرى أن إضافة الصورة الأولى إلى تفسير القرآن بالقرآن أمر فيه نظر، لأن فيها من الوضوح ما لا يخفى على احد، وهي إلى إتمام المعنى أقرب منها إلى التفسير .

أما الصورة الثانية فهي الجديرة بمصطلح تفسير القرآن بالقرآن لأنها في - ظني - هي الصورة الوحيدة التي تعبر عن هذا المصطلح تعبيراً حقيقياً .

القسم الثاني: اجتهادي، وهو كثير، ويعتمد على * صحة النظر وقوة الاستنباط وذلك بأن يحمل معنى آية على آية أخرى تكون مبينة وشارحة للآية الأولى، وهذا النوع منه المقبول ومنه المردود كأى اجتهاد في تفسير آية، ولا اعتبار في قبوله بكونها فسرت بآية أخرى... فالمعتبر هو صحة النظر وقوة الاستنباط * (١)

ولذلك فإن التفسير القرآني ليس بالأمر السهل أو الواضح حتى يظهر لك من النظرة الأولى للآيات، وإنما هو أمر يحتاج إلى جهد واجتهاد من حيث استيعاب جميع آيات القرآن، والوقوف على معانيها ومقاصدها، ثم الاجتهاد في كيفية الاستدلال على معنى الآية بالآية أو الآيات الأخرى، ولذلك فإن التفسير القرآني للقرآن يحتاج إلى ثلاثة أمور:

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين د/حسين الحربي ١/٣٢٠

-الاستقراء

-الاستيعاب

-الاجتهاد

استقراء للآيات التي تتناول موضوع الآية التي بصدد تفسيرها ، واستيعاب لمعنى الآية والمراد منها، واجتهاد في الاستدلال بها على معنى الآية المفسرة فتفسير القرآن بالقرآن ليس * عملا آليا لا يقوم على شيء من النظر، وإنما هو عمل يقوم على كثير من التدبر والتعقل، إذ ليس حمل المجمل على المبين، أو المطلق على المقيد أو العام على الخاص، أو إحدى القراءتين على الأخرى بالأمر الهين الذي يدخل تحت مقدور كل إنسان، وإنما هو أمر يعرفه أهل العلم والنظر خاصة * (١)

وإذا كان التفسير القرآني يحتاج إلى هذه الأمور -الاستقراء والاستيعاب والاجتهاد- فليس غريبا أن نجده عزيزا في كتب التفسير، فغالب المفسرين يعتمدون في تفسير الآيات على ما أثر في تفسيرها من أقوال المفسرين -وعلى رأسهم النبي محمد ﷺ-، لكن التفسير القرآني بشروطه المذكورة قد يكون أمرا نادرا اللهم إلا إشارات من بعض المفسرين إلى تأكيد معنى الآية بما يناسبها من آيات القرآن الكريم.

ومن ثم فإن التفسير القرآني للقرآن -في أغلبه- ضرب من النظر العقلي للقرآن الكريم، لأنه يعتمد على اجتهاد المفسر واستنباطه الدقيق لدلالات الآيات القرآنية .

(١) التفسير والمفسرون د/محمد حسين الذهبي ٤٤/١

ويعضد ذلك ما ذكره الزركشي في البرهان - ونقله السيوطي في الإتيان - من تقسيم القرآن إلى نقلي وعقلي، ثم يبين أن النقلي ما ورد عن النبي ﷺ أو الصحابة أو رءوس التابعين^(١)، وفي هذا إشارة إلى ما ذكرناه من أن تفسير القرآن بالقرآن يحتاج إلى جهد عقلي كبير لاستخراج معاني القرآن من داخل القرآن

(١) البرهان في علوم القرآن ١٧٢/٢، والإتيان في علوم القرآن ١٢١٦/٢

القسم الثاني

التفسير القرآني في سورة البقرة

نحاول في هذا القسم -ومن خلال سورة البقرة- أن نقف أمام الآيات التي ذكر المفسرون -أو بعض المفسرين - أنها يمكن أن تفسر بالقرآن، ليتأكد لنا ما ذكرناه في القسم الأول من أن التفسير القرآني للقرآن في أغلبه يعتمد على اجتهاد المفسر واستنباطه لدلالات الآيات .

وقبل ذكر هذه الآيات وأقوال العلماء فيها ينبغي أن نشير إلى أن ذلك ليس حصراً لكل الآيات الموجودة في سورة البقرة، والتي قيل أنها مفسرة بالقرآن، فهناك آيات ذكر بعض المفسرين أنها تدخل في دائرة التفسير القرآني للقرآن، ولكن بعد النظر في تفسيرها وجدت أنها بعيدة عن تفسير القرآن بالقرآن، ووعدها من أمثلة التفسير القرآني أمر فيه بعض المبالغة، حتى أن الآيات التي سيرد ذكرها سنجد في كثير منها أن تفسيرها بالقرآن أمر يحتمل القبول والرفض، غير أنني ذكرتها لأنني وجدت أكثر ذكراً وأوضح استشهاداً وأقرب من غيرها إلى التفسير القرآني للقرآن هذا، وقد قسمت الآيات إلى قسمين :

الأول: ما ورد بيانه متصلاً في نفس الآية أو الآية التي بعدها

الثاني: ما جاء بيانه منفصلاً في مواضع أخرى بعيداً عن الآية

أولاً: البيان المتصل

١- قوله تعالى * هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * البقرة ٢

قيل أنها مفسرة بما بعدها وهو قوله تعالى {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ {البقرة ٣-٤

روى ابن جرير عن قتادة: قوله *المتقين* من هم نعتهم ووصفهم فأثبت صفتهم فقال *الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ.... الآية* (١)
يقول القاسمي: المراد بالمتقين هنا من نعتهم الله بقوله *الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ... إلى قوله تعالى* وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ* (٢)

قلت: ما ذكر أنه تفسير لقوله تعالى *المتقين* إنما هو بعض من صفات المتقين الكثيرة والتي ذكرت في آيات عديدة من القرآن الكريم كقوله تعالى لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ {البقرة ١٧٧}

ولذلك فابن جرير الطبري بعد أن يذكر الأقوال في تفسير *المتقين* يختار أن الآية تعهما جميعا فيقول:

(..إن الله عز وجل إنما وصفهم بالتقوى فلم يحصر تقواهم إياه على بعضها دون بعض فليس لأحد من الناس أن يحصر معنى ذلك على وصفهم بشيء من تقوى الله عز وجل دون شيء إلا بحجة يجب التسليم لها ..) (٣)

(١) جامع البيان ٧٧/١، وانظر تفسير ابن كثير ٦٠/١، وتفسير القرطبي ١١٤/١، وفتح القدير للشوكاني ٤٠/١، وفتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي ٧٦/١، والتحرير والتوير لابن عاشور ٢٢٨/١، الدار التونسية للنشر، وما اتصل به بيانه من القرآن الكريم ملفي الصاعدي ص ١٧ .

(٢) محاسن التأويل ٣٤/٢

(٣) جامع البيان ٧٧/١

ويعلق ابن كثير على اختيار الطبري بقوله: وهو كما قال (١)
 ٢- قوله تعالى ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى
 الْخَاشِعِينَ﴾ البقرة ٤٥

قيل إن قوله تعالى * الخاشعين * مفسر بما بعده وهو قوله تعالى {الَّذِينَ
 يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} البقرة ٤٦ (٢)
 قال في التحرير والتنوير: قد وصف تعالى الخاشعين بأنهم * الَّذِينَ يَظُنُّونَ
 أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ *، وهي صلة لها مزيد اتصال بمعنى
 الخشوع، ففيها معنى التفسير للخاشعين (٣)

قلت: تفسير * الخاشعين * بما ورد في الآية التي تليها فيه قصر لصفات
 الخاشعين على ما ذكر والأمر غير ذلك، ولذلك فابن كثير يرى أن قوله تعالى *
 الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * ليس تفسيراً للخاشعين وإنما هو
 مكمل للمعنى ومناسب له، يقول: هذا من إتمام الكلام الذي قبله أي أن الصلاة لتقيلة
 إلا على الخاشعين * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ * أي يعلمون أنهم محشورون
 إليه يوم القيامة معروضون عليه * وأنهم إليه راجعون * أي أمورهم راجعة إلى
 مشيئته يحكم فيها ما يشاء بعبده، فلهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سهل عليهم فعل
 الطاعات وترك المنكرات (٤)

٣- قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ
 أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ..﴾ الآية البقرة ٤٩

(١) تفسير القرآن العظيم ٦٠/١

(٢) ما اتصل به بيانه من القرآن الكريم

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٤٨٠/١

(٤) تفسير القرآن العظيم ١٣٠/١

قيل: إن قوله تعالى *يسومونكم سوء العذاب* مفسر بقوله تعالى يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم *

يقول الزمخشري: قوله *يذبحون* بيان لقوله *يسومونكم* (١)

ويقول القرطبي: قال الفراء وغيره: *يذبحون* بغير واو على التفسير لقوله *يسومونكم سوء العذاب*، كما تقول أتاني القوم زيد وعمرو، فلا تحتاج إلى الواو في زيد، ونظيره وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يَضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ {الفرقان ٦٨-٦٩}، وفي سورة إبراهيم

ويذبحون بالواو (٢) لأن المعنى: يذبحونكم بالذبح وبغير الذبح، فقوله *ويذبحون أبناءكم* جنس آخر من العذاب لا تفسير لما قبله (٢)

ويشير القرطبي هنا إلى قوله تعالى -في سورة إبراهيم- (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ) آية ٦، حيث دلت واو العطف في *ويذبحون* على أن أنواعا أخرى من العذاب غير الذبح، أما حذف الواو في آية سورة البقرة (٣) هناك فقد جعل الذبح تفسيرا للعذاب لأنه أشده وأعظمه

ويقول ابن عاشور: وجملة *يذبحون أبناءكم* بيان لجملة *يسومونكم سوء العذاب* فيكون المراد من سوء العذاب هنا خصوص التذبيح وما عطف عليه وهو *يستحيون نساءكم* فكلاهما بيان لسوء العذاب (٤)

(١) الكشاف ١/٦٨

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/٢٦٢

(٣) وكذلك في سورة الأعراف في قوله تعالى {وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُم مِّنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٍ} {الأعراف ١٤}

(٤) التحرير والتنوير ١/٤٩٣، وانظر أعضاء البيان للشنقيطي ١/٦٨، وبيان ما اتصل به بيانه

من القرآن الكريم ملفي الصاعدي ص ٢١

٤- قوله تعالى {وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ} البقرة ١٣٢

فقوله * الدين * هو دين الإسلام، دل عليه قوله تعالى بعده * فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون *

يقول الشنقيطي: أشار إلى أنه دين الإسلام هنا بقوله * فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون وصرح بذلك في قوله * إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ * آل عمران ١٩^(١) ويقول ابن عاشور: وأراد به دين الحنيفية المسمى بالإسلام فلذلك قال: * فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون *^(٢)

ويقول القاسمي: أعطاكم الدين الذي هو صفوة الأديان، وهو دين الإسلام الذي لا دين غيره عند الله تعالى * فلا * أي فتسبب عن ذلك أن قال لكم * فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون *^(٣)

وتفسير الدين بالإسلام هو ما أطبق عليه جميع المفسرين، وإن كانوا لا يعولون على الاستدلال به، لأنه ليس في حاجة إلى بيان، وقد روى الثعلبي عن فضيل بن عياض في تفسير قوله تعالى * وأنتم مسلمون * قال: أي محسنون بربكم الظن قلت: وهو وجه يرده سياق الآيات، والله أعلم

٥- قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}. أياماً معدودات {البقرة ١٨٣، ١٨٤} فقوله تعالى * أياماً معدودات * فسرته الآية التي تليها في قوله تعالى {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ... الآية ١٨٥}

(١) أضواء البيان ٧٤/١

(٢) التحرير والتنوير ٧٢٠/١

(٣) محاسن التأويل ٢٦٥/٢

يقول ابن الجوزي: شهر رمضان بالرفع على تفسير الأيام...فسرها فقال: هي شهر رمضان (١)

ويقول القاسمي: رفع * شهر * خبر لمبتدأ تقديره: هي شهر يعني الأيام المعدودات (٢)

يقول الطبري-بعد ذكر الخلاف في المراد بالأيام المعدودات:-

وأولى ذلك في الصواب عندي قول من قال: عنى جل ثناؤه-بقوله*أياما معدودات*أيام شهر رمضان، وذلك أنه لم يأت خبر تقوم به حجة بأن صوما فرض على أهل الإسلام غير شهر رمضان، ثم نسخ بصوم شهر رمضان، وأن الله تعالى بين في سياق الآية أن الصيام الذي أوجبه جل ثناؤه علينا هو صيام شهر رمضان دون غيره من الأوقات بإبانتته عن الأيام التي أخبر أنه كتب علينا صومها بقوله *شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن* وإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا فتأويل الآية: كتب عليكم أيها المؤمنون الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياما معدودات، هي شهر رمضان (٣)

ويقول الشنقيطي: قال بعض العلماء: هي ثلاثة أيام من كل شهر، وعاشوراء. وقال بعض العلماء: هي رمضان، وعلى هذا القول فقد بينها تعالى بقوله *شهر رمضان* (٤)

٦- قوله تعالى (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ

الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) البقرة ١٨٧

(١) زاد المسير ١٨٧/١

(٢) محاسن التأويل ٨٤/٣

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٤١٧/٣

(٤) أضواء البيان ٩٣/١

فقوله تعالى * من الفجر * بين المراد من قوله تعالى * الخيط الأبيض من الخيط الأسود * وهو بياض النهار وسواد الليل

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : أنزلت * وكَلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ * ولم ينزل * من الفجر * فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ، ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله تعالى بعد * من الفجر * فعلموا أنما يعني الليل والنهار (١)

يقول الزمخشري : وقوله من الفجر بيان للخيط الأبيض ، واكتفى عن بيان الخيط الأسود لن بيان أحدهما بيان للثاني (٢)

ويقول القاسمي : وقوله من الفجر بيان للخيط الأبيض ... وقد رفع بهذا البيان الالتباس الذي وقع أول أمر الصيام (٣)

٧- قوله تعالى (فَأْتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) البقرة ٢٢٢

فقوله تعالى * من حيث أمركم الله * مفسر في الآية التي تليها في قولها تعالى ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ سِتْنَمُ﴾ البقرة ٢٢٣، أي : فأتوهن في موضع الحرث وهو القبل لا غيره

قال في فتح البيان :

لفظ الحرث يفيد أن الإباحة لم تقع إلا في الفرج الذي هو القبل خاصة إذ هو مزدرع الذرية ، كما أن الحرث مزدرع النبات ، فقد شبه ما يلقي في أرحامهن من النطف التي منها النسل بما يلقي في الأرض من البذور التي منها النبات ،

(١) البخاري كتاب التفسير ، رقم ٤٢٤١/١٦٤٠ ، ومسلم كتاب الصيام ، رقم ١٠٩١ ، ٢/٧٦٧

(٢) الكشاف ١/١١٦

(٣) الكشاف ١/١١٦

بجامع أن كل واحد منهما مادة لما يحصل منه ، وهذه الجملة بيان للجملة الأولى أعني قوله تعالى * فأتوهن من حيث أمركم الله * (١)

كما أيد الشنقيطي هذا التفسير بآية أخرى تؤكد أن المقصود من قوله تعالى * من حيث أمركم الله * هو القبل ، وهذه الآية هي قوله تعالى * فالآن باسروهن وأبتغوا ما كتب الله لكم * البقرة ١٨٧ ، يقول: ... لأن المراد بما كتب الله لكم الولد على قول الجمهور.. ومعلوم أن ابتغاء الولد إنما هو بالجماع في القبل ، فالقبل إذن هو المأمور بالمباشرة فيه بمعنى الجماع فيكون معنى الآية : فالآن باسروهن ولتكن تلك المباشرة في محل ابتغاء الولد الذي هو القبل دون غيره بدليل قوله تعالى * وابتغوا ما كتب الله لكم * يعني الولد. (٢)

ثانياً البيان المنفصل

١- قوله تعالى {فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ

الرَّحِيمِ} البقرة ٣٧

ذكر المفسرون أن قوله تعالى * كلمات * مفسر بقوله تعالى {قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا

أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} الأعراف ٢٣

وقد مر بنا أقوال المفسرين في هذه الآية ، والتعليق على هذه الأقوال .

٢- قوله تعالى {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} البقرة ٤٠

(١) القنوجي فتح البيان ٤٤٩/١

(٢) أضواء البيان ١٠٦/١

فالنعمة المذكورة في الآية مفسرة بقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ
اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا
مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ المائدة ٢٠ (١)

وقيل: إنها مفسرة بقوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ
وَالسَّلْوَى﴾ البقرة ٥٧ (٢)

وقيل أيضا: إنها مفسرة بقوله تعالى ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ
سُوءَ الْعَذَابِ..الآية﴾ البقرة ٤٩ (٣)
يقول القرطبي :

ومن النعمة عليهم أن أنجاهم من آل فرعون، وجعل منهم أنبياء، وأنزل
عليهم الكتب والمن والسلوى، وفجر لهم في الحجر الماء، إلى ما استودعهم من
التوراة التي فيها صفة محمد ﷺ ونعته ورسالته، والنعمة على الأبياء نعم على
الأبناء، لأنهم يشرفون بشرف آبائهم (٧)
ويقول ابن عاشور :

والنعمة هنا مراد بها جميع النعم لأنه جنس مضاف فله حكم الجميع (٢)

٣- قوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ البقرة ٤٠

ذكر كثير من المفسرين أن العهدين المذكورين في الآية فسرهما قوله تعالى
﴿لَوْ كَفَرَ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ
لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا

(١) (٢، ٣، ٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٣/١

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/٣٢٢

(٣) التحرير والتنوير ١/٤٨٤

حَسَنًا لَّكَفَّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ {المائدة ١٢}

فعهدهم هو المذكور في قوله تعالى * لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً *

وعهده هو المذكور في قوله تعالى * لأكفرنَّ عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهار * (١)

وقد ذكر المفسرون أقوالاً أخرى في تفسير الآية

فقيل: إن المراد بالعهد ما عهده إليهم في التوراة من صفة محمد ﷺ قاله ابن عباس

وقيل: إنه امتثال الأوامر واجتناب النواهي . قاله ابن عباس أيضاً

وقيل: إنه الإسلام . قاله أبو العالية

وقيل: إن عهد الله معهم أن ينجز لهم ما وعدهم من وضع ما كان عليهم

من الإصر والأغلال التي كانت عليهم (٢)

٤- قوله تعالى {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} البقرة ٤٦

فسر الظن في الآية باليقين لقوله تعالى (وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} البقرة ٤

يقول القرطبي :

والظن هنا في قول الجمهور بمعنى اليقين ، ومنه قوله تعالى {إِنِّي ظَنَنْتُ

أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ} الحاقة ٢٠، وقوله تعالى * فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا * الكهف ٥٣ (٣)

ويقول ابن جرير :

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/١٢٣، وزاد المسير لابن الجوزي ١/٧٣، ومحاسن التأويل للقاسمي

٢/١١٤، وأضواء البيان للشنقيطي ١/٦٧

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ١/٢٧٣، والتفسير الكبير للفخر الرازي ٢/١٤١

(٣) أضواء البيان ١/٦٨

العرب قد تسمى اليقين ظنا والشك ظنا نظير تسميتهم الظلمة سدفة والضياء سدفة والمغيث صارخا والمستغيث صارخا ،وما أشبه ذلك من الأسماء التي يسمى بها الشيء وضده ،كما قال دريد بن الصمة :

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارس المسرد

يعني بذلك يتقنوا بألفي مدجج يأتكم... والشواهد من أشعار العرب وكلامها

على أن الظن في معنى اليقين أكثر من أن تحصى (١)

وفي الكشف :

في مصحف عبد الله * يعلمون * ومعناه : يعلمون أن لا بد من لقاء الجزاء

فيعملون على حسب ذلك ،ولذلك فسر يظنون ب* يتيقنون* (٢)

وقد ذكر بعض المفسرين أن الظن هنا على بابه ،ويضم في الكلام

* بنزوبهم * ،فكانهم توقعوا لقاءه مذنبين (٣)

يقول الشوكاني :والأول أولى (٤)

٥- قوله تعالى {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا

قِرَدَةً خَاسِئِينَ} البقرة ٦٥

تشير هذه الآية إلى قصة أهل * ليلة * الذين عصوا أمر ربهم بتعظيم يوم

السبت وعدم الاكتساب والصيد فيه ،فاحتالوا على اصطيد الحيتان في هذا اليوم بما

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٥٥/١

(٢) الكشف للزمخشري ٦٧/١

(٣) انظر :النكت والعيون للماوردي ١١٦/١

(٤) فتح القدير ٦٧١/١

وضوعوه لها من الحبائل والبرك قبل يوم السبت، فإذا جاء الليل أخذوها بعد انقضاء السبت، فلما فعلوا ذلك مسخهم الله تعالى (١)

وهذه القصة الموجزة في هذه الآية جاءت مبسطة في سورة الأعراف في قوله تعالى ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْتَدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ . وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ . وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ {الأعراف ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦} قوله تعالى: (وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ) البقرة ٨٧

فقد فسرت البينات بالمعجزات التي أيد بها عيسى عليه السلام والتي ذكرها الله تعالى في قوله ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ {آل عمران ٤٩}

وكذلك في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أُتِدَّتْكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي..{المائدة ١١٠}

(١) انظر تفسير الطبري ١/٢٦٢، ٢٦١، وتفسير ابن كثير ١/١٥٦، وتفسير القرطبي /

يقول القرطبي :

البيئات أي: الحجج والدلالات، وهي التي ذكرها في آل عمران والمائدة.

قاله ابن عباس (١)

٧- قوله تعالى {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ} البقرة ٩٢

قيل: إن البيئات في الآية مبينة بقوله تعالى {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ

بَيِّنَاتٍ} الإسراء ١٠١

يقول القرطبي: والبيئات قوله تعالى * ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات* ،

وهي العصا والسنون واليد والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وقلق

البحر، وقيل: البيئات التوراة وما فيها من الدلالات (٢)

ويرى ابن كثير أن البيئات في الآية تشمل كل المعجزات والدلائل التي

تشهد بنبوة موسى عليه السلام فيقول: والآيات البيئات هي الطوفان والجراد والقمل

والضفادع والدم والعصا واليد وفرق البحر وتظليلهم بالغمام والمن والسلوى

والحجر وغير ذلك من الآيات التي شاهدوها (٣)

وذكر بعض المفسرين أن البيئات قد يراد بها التوراة وما فيها من الدلالات (٤)

قلت: ولعل هذا القول الأخير يتأيد بالسياق، فالآية التي تلي الآية المذكورة

هي قوله تعالى {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خَدُّوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ

وَأَسْمِعُوا قُلُوبًا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا... الآية} البقرة ٩٣، فالآية تتحدث عن التوراة، حيث أخذ

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٨/٢

(٢) نفسه ٣٢/٢

(٣) تفسير القرآن العظيم ١٨٥٢/١

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٢/٢، وفتح القدير ١٣٣/١

الله الميثاق على بني إسرائيل أن يعملوا ويلتزموا بما فيها، فخالفوا وعتوا وأعرضوا حتى رفع الله الطور عليهم حتى قبلوا ثم خالفوا مرة أخرى (١)

٨- قوله تعالى {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ

قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} البقرة ٢٢٥

فقوله تعالى *كسبت قلوبكم* فسر بقوله تعالى في سورة المائدة {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ} المائدة ٨٩ (٢)

وواضح أن هذا التفسير القرآني يبين أن المقصود بقوله تعالى *كسبت

قلوبكم* هي اليمين المنعقدة التي يلزم الحانث فيها الكفارة المذكورة في الآية المفسرة غير أن المفسرين ذكروا كذلك في تفسير قوله تعالى كسبت قلوبكم* اليمين الكاذبة التي يقطع بها حقوق الآخرين والتي سماها النبي ﷺ اليمين الغموس (٣) والتي تغمس صاحبها في الإثم والنار، وهي لا تنفع معها الكفارة، ولكن يلزم صاحبها التوبة إلى الله تعالى ورد الحقوق إلى أصحابها.

(١) انظر تفسير ابن كثير ١/١٨٥، وتفسير القرطبي ١/٢٩٦

(٢) انظر تفسير الطبري ١/١٠٩، وتفسير ابن كثير ١/٣٨٨، وتفسير القرطبي ٣/١٦، ومحاسن

التأويل ٣/٢٣٧، وفتح البيان ٢/٩، وأضواء البيان ١/١٠٩

(٣) ورد في صحيح البخاري أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الكبائر؟ قال: الإشراف بالله، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم عقوق الوالدين، قال: ثم ماذا؟ قال: اليمين الغموس، قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: الذي يقطع مال امرئ مسلم هو فيها كاذب البخاري كتاب الحدييات رقم

ويجمع الطبري بين القولين فيقول:

والصواب من القول في ذلك أن يقال أن الله تعالى أوعد عباده أن يؤاخذهم بما كسبت قلوبهم من الأيمان فالذي تكسبه قلوبهم من الأيمان هو ما قصدته وعزمت عليه على علم ومعرفة منها بما تقصده وتريده وذلك يكون منها على وجهين: أحدهما ي: على وجه العزم على ما يكون به العازم أتما وفعله مستحقا المؤاخذه من الله وذلك كالذي يحلف على الشيء الذي لم يفعله أنه قد فعله، وعلى الشيء الذي قد فعله لم يفعله قاصدا قيل الكذب.. فيكون الحالف بذلك - إن كان من أهل الإيمان بالله ورسوله - في مشيئة الله يوم القيامة إن شاء أخذه به في الآخرة وإن شاء عفا عنه بتفضله، ولا كفارة عليه لأنها ليست من الأيمان التي يحنث فيها . والوجه الآخر منها: على وجه العزم على إيجاب عقد اليمين، فذلك مما لا يؤاخذ به صاحبه حتى يحنث فيها بعد حلفه، فإذا حنث فيها بعد حلفه كان مؤاخذا بالكفارة التي جعلها الله كفارة لذنبه^(١)

(١) تفسير الطبري ٤١٥/٢ وما بعدها بتصرف

وختاماً :

وبعد هذه الجولة حول تفسير القرآن بالقرآن ، تلك الظاهرة التفسيرية التي نالت اهتمام العلماء والمفسرين قديماً وحديثاً ، فقد تبين لنا ما يلي :

أولاً : إن تفسير القرآن بالقرآن أهم وأصح الطرق في تفسير القرآن ، ولا ينبغي لمن يتصدى لتفسير القرآن أياً كانت وجهته التفسيرية - نقلياً كانت أو عقلياً - أن يتجاوزها ، لأنه نهج النبي ﷺ والسلف الصالح .

ثانياً : لتفسير القرآن بالقرآن صور كثيرة ، أهمها بسط ما جاء موجزاً ، وبيان ما كان مجملاً ، وتوضيح ما أشكل من الآيات ، وكذلك تخصيص العام وتقييد المطلق .

ثالثاً : الآيات التي يمكن تفسيرها قرانياً بالمعنى الدقيق لمصطلح التفسير القرآني للقرآن قليلة ونادرة ، وجل ما يذكر في تفسير القرآن بالقرآن هو محاولات لتوضيح

معاني الآيات وتقريبها عن طريق الآيات المتعلقة بموضوع الآية المفسرة

رابعاً : أهمية حفظ القرآن الكريم ، واستحضار جميع آيات القرآن المتعلقة بموضوع الآية المفسرة حتى يمكن التوصل إلى معناها الصحيح من خلال آيات القرآن الكريم .

خامساً : لا يمكن القطع بصحة التفسير القرآني لأنه في غالبه اجتهاد من صاحبه قد يصيب وقد يخطئ وإن كان مسلكه من حيث المبدأ صواباً

سادساً : ينسب التفسير القرآني لمن فسر به ، فإن كان المفسر رسول الله ﷺ فهو تفسير نبوي ، وإن كان تفسيراً لأحد الصحابة فهو من تفسير الصحابة ، وإن كان من غيرهم فهو منسوب لصاحبه

سابعاً : من التفسير القرآني للقرآن ما هو نقلي لا اجتهاد فيه إلا أنه قليل ، ومنه ما هو عقلي وهو كثير ، يعتمد على صحة النظر وقوة الاستنباط فهو ضرب من النظر العقلي للقرآن الكريم يقوم على استقراء آيات القرآن واستيعاب معانيها وكذلك الاجتهاد في الاستدلال بها على معنى الآية المفسرة

المراجع

- ١- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر شهاب الدين الدمياطي الشهير بالبناء، دار الكتب العلمية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
- ٢- الإلتقان في علوم القرآن للسيوطي تقديم وتعليق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م
- ٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي بيروت
- ٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م
- ٥- البحر المحيط لأبي حيان تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض وزكريا التوني، وأحمد النجولي دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م
- ٦- بحوث في أصول التفسير د/فهد الرومي، مكتبة التوبة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ
- ٧- البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت
- ٨- التحرير والتنوير لابن عاشور، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م
- ٩- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار مكتبة الهلال بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م
- ١٠- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي، دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

- ١١- تفسير النسفي، دار إحياء الكتب العلمية عيسى البابي الحلبي وشركاه
- ١٢- التفسير والمفسرون د/محمد حسين الذهبي، دار القلم الطبعة الأولى .
- ١٣- جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري، دار المعرفة بيروت ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م
- ١٤- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٣هـ-١٩٩٣م
- ١٥- حجة القراءات لأبي زرعة تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة الطبعة الخامسة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م
- ١٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م
- ١٧- دفع إيهاض الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي، دار عالم الفوائد الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ
- ١٨- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ-١٩٩٤م
- ١٩- سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي عبد الحميد دار الفكر بيروت
- ٢٠- سنن ابن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر بيروت
- ٢١- سنن الترمذي *الجامع الصحيح*، تحقيق محمد أحمد شاکر وآخرون دار إحياء التراث العربي حقه
- ٢٢- شرح النووي على صحيح مسلم-، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ

- ٢٣- صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٣م
- ٢٤- صحيح البخاري، تحقيق د/مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير (اليمامة)، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م
- ٢٥- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٦-فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه محب الدين الخطيب وقرأ أصنّه تصحيحاً وتحقيقاً عبد العزيز بن باز دار المعرفة
- ٢٧- فتح البيان في مقاصد القرآن للتقوي، تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري، دار إحياء التراث بقطر ١٤١٠هـ-١٩٨١م
- ٢٨- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني، دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م
- ٢٩- فصول في أصول التفسير د/مسعود الطيار، دار النشر الدولي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م
- ٣٠- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام لمحمد بن عمر بازمول، دار الهجرة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-١٩٩٦م
- ٣١- قواعد الترجيح عند المفسرين د/حسين الحربي، دار القاسم الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م
- ٣٢- قواعد التفسير جمعاً ودراسة خالد السبت دار ابن عفان الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م
- ٣٣-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري دار المعرفة بيروت

- ٣٤- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محيي الدين رمضان مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤٠١هـ-١٩٨١م
- ٣٥- ما اتصل به بيانه من القرآن الكريم، د/مفي الصاعدي مجلة الجامعة الإسلامية عدد: ١٣١ عام ١٤٢٦هـ
- ٣٦- محاسن التأويل للقاسمي، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية ١٣٧٦هـ-١٩٧٨م
- ٣٧- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جنى، تحقيق علي البحيري ناصف ند/عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار سزكين للطباعة والنشر الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
- ٣٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري السيد عبد العال السيد إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية بقطر الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م
- ٣٩-- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه د/عدنان زرزور، دار القلم دمشق الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م
- ٤٠- مسند الإمام أحمد، مؤسسة قرطبة مصر
- ٤١- معجم القراءات د/عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر
- ٤٢- مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، تحقيق د/عدنان زرزور، دار القرآن الكريم الكويت الطبعة الأولى ١٣٩١هـ - ١٩٧١م
- ٤٣- مناهج المفسرين د/مصطفى مسلم، دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ

٤٤- منهج ابن كثير في التفسير د/سليمان اللاحم، دار المسلم ١٤٢٠هـ —

١٩٩٩م

٤٥- النشر في القراءات العشر لابن الجزري، تحقيق علي محمد الصباغ،

دار الكتب العلمية بيروت

٤٦- النكت والعيون للماوردي، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد

العظيم، دار الكتب العلمية بيروت